مع وزير الدفاع ليل ١٤/٩/١٩٨٢ عندما اتضح أن بشير قتل، أن هناك احتمالين: الأول، أنه قد تحصل أعمال انتقامية من جهة الكتائب، والثاني أن ينقسموا على بعضهم. ومن الصعب النظر إلى هذه الأقوال غير الواضحة على أنها تحذير جلي وثابت. وفي يوم ١٥/٩/١٩٨٢ حوالي الساعة السادسة مساء أعد فرع الاستخبارات وثيقة (المستند ٢٦) تحمل عنوان والتأكيدات الأساسية في تقويم الموقف». والشيء الوحيد الذي قيل فيها حول خطر أعمال انتقامية من جهة الكتائبيين هو أن دخول قوات جيش الدفاع الاسرائيلي إلى بيروت الغربية قد «يقابل من بعض الفرقاء المعنيين وربما حتى بين بعض العناصر الاسلامية، على أنه تطور يمكن أن يساهم، مؤقتا على الأقل، في استقرار المدينة، وأن يوفر لهم الحماية من أعمال انتقامية يمكن أن يقوم بها الكتائبيون» (الفقرة ١ (أ) من المستند ٢٦). هذه الوثيقة لا يمكن اعتبارها تحذيرا واضحا من خطر اشراك الكتائبيين مع قوات جيش الدفاع الاسرائيلي في دخول بيروت، ولا أنها تشير إلى الحاجة لاتخاذ احتياطات خاصة تحول دون قيام الكتائبيين بأعمال انتقامية ضد الفلسطينيين. في وثيقة أخرى للاستخبارات صدرت في ١٥/٩/١٩٨٢ بعنوان «اغتيال بشير الجميل — المعاني الرئيسية» تقول الوثيقة أن «الاغتيال يخلق فاروقا تصعد في الاستقطاب بين القوى اللبنانية المتخاصمة لتصفية حسابات متبادلة وجعل الأوضاع تتردى. وهذا، في غياب عامل الاستقرار، يمكن أن يتطور إلى حرب أهلية عامة (الفقرة ٤ من المستند ٢٥). ولكن هذه أيضا لا يمكن اعتبارها تحذيرا حقيقيا ويلفت الانتباه إلى أخطار أعمال الانتقام من جانب الكتائبيين مع دخولهم بيروت الغربية برفقة قوات جيش الدفاع الاسرائيلي أو برعايتها.

لقد قال مدير الاستخبارات العسكرية في إفادته أنه في ما خص مسألة إرسال الكتائبيين إلى المخيمات يجب أن تناقش وتوضح كما يلزم، وأنه كان ينبغي من مناقشة تقويم الموقف تدقيق مختلف الموضوعات مدار البحث، التي عددها في إفادته (صفحة ١٥٨٧) والمرتبطة بدخول الكتائبيين المخيمات. وفي رأيه أن مثل هذا التوضيح كان يمكن القيام به خلال وقت قصير، حتى إذا ما تبين في هذه المناقشة أن من الممكن ضمان التنسيق مع قوات جيش الدفاع الاسرائيلي «بكل الطرق» لكان أيد دخول الكتائبيين، وليس قوات جيش الدفاع الاسرائيلي إلى المخيمات. إننا نقبل كلامه هذا، لكن، يبدو لنا أنه كان على مدير الاستخبارات العسكرية أن يبدي اهتماما كافيا بالقضية من أجل التحقق من الدور الذي أسند إلى الكتائبيين. هذا إن لم يكن، لبعض الأسباب، قد سمع عنه خلال الاجتماعات التي شارك فيها، كما أنه كان من واجبه أن يطلب توضيح أو مناقشة تلك الموضوعات التي أشار إليها في إفادته أمامنا. والواقع الذي أشار إليه مدير الاستخبارات العسكرية ومن يمثله عن الأخلاقية القتالية للكتائبيين والمجازر التي حصلت في الماضي خلال الحرب الأهلية في لبنان كانت معروفة لدى الجميع، وهي لا تعفي مدير الاستخبارات العسكرية، من أن يفي بواجباته، خصوصا أن المسألة تتعلق بالتعاون مع الكتائبيين بعد اغتيال بشير الجميل، وحتى ولو لم تكن هناك مناقشة منظمة لهذه القضية.

كذلك لا يوجد، على الأخص، تفسيرا كافيا لافتقاد عمل أساسي من قبل مدير الاستخبارات العسكرية في ما يتصل بدخول الكتائبيين المخيمات بعد ما كان سمع صباح الجمعة، ليس فقط عن دخول الكتائبيين المخيمات، بل كذلك عن مقتل ثلاثمئة شخص في هذه العملية، وكل ما فعله أنه أمر بالتثبت من صحة ما بلغه ولا شيء غير ذلك. فهو لم يحاول أن يتصل برئيس الأركان أو وزير الدفاع لتحذيرهما من خطر عملية الكتائبيين في المخيمات، خصوصا بعدما تلقى التقرير عن مقتل ثلاثمئة شخص. صحيح أن هذا التقرير لم يكن ثابتا وأن مصدره في رأيه، عملياتي وليس استخباراتيا. لكن، كانت فيه معلومات يمكن أن تثبت مخاوفه في ما يتعلق بأعمال الكتائبيين. لقد شرح مدير الاستخبارات العسكرية في إفادته لماذا لم يحاول أن يحذر، في تلك المرحلة، من الخطر في الوضع الناشيء. وقدم الملاحظات الآتية (ص ١٥٨٩):

— أنا معروف بأنني واحد عارض الكتائبيين دائما. ليس من اليوم، بل من أربع سنوات خلت. ولقد قرأت في الصباح أن الكتائبيين موجودون في داخل المخيمات، وأعرف أن ذلك كان بأمر من